مجلة الجامعة الأسمرية

دوريَّة علميَّة جامعة محكَّمة

تصدر عن الجامعة الأسمريّة للعلوم الإسلامية. زليتن. ليبيا

السنة التاسعة (1433هـ/ 2012م) العدد السادس عشر

أمين التحرير

أ. د. مصطفى عمران رابعة

* * *

مدير التحرير

د. محمد حسين ضو

* * *

الأعضاء

د. فرج علي جوان

د. هيثم عبد الحميد خزنة

أ. عبد الصمد رجب اشميلة

المراسلات : ص. ب (471) أو (495) زليتن ـ ليبيا

هاتف : 4626456 - 051 فاكس : 4626679 - 051

موقع الجامعة على شبكة المعلومات : Http: www . asmarya . edu . ly

البريد الإلكتروني : E. Mail : asmarya @ Ittnet . net

المحتويات

افتتاحية العدد 9

- **تعدد القراءات ونظرية القراءة بالمعنى**

د. رجب محمد غيث 13

- **أهمية التفسير الموضوعي منهجيته في معالجة القضايا المستجدة**

د. أحمد عبد الكريم الكبيسي 51

- **تفسير سورة نوح دراسة موضوعية**

وداد محمد رياض الشيخ خالد 89

- **أثر سعيد بن المسيب في رواية الحديث**

د. ازويرا بن عبد العزيز – أ. طارق عطية ادقيج 107

- **القول الضعيف في مختصر خليل**

د. مصطفى بن رابعة 125

- **الشبهات المسقطة للحدود**

د. أحمد علي معتوق الزائدي 137

- **قاعدة (ما قارب الشيء يُعطى حكمه) في المذاهب الأربعة تأصيلاً وتفريعاً**

د. محمد أحمد القياتي محمد 161

- **عمليات التورق المفاهيم، والآليات، وتقييمها الشرعي والاستثماري**

أ. هشام كامل البهلول قشوط 191

- **الموقف الديني والثقافي تجاه المرأة المسلمة في العالم بين الواقع المعيش والتيه الفكري**

د. عاصم شحادة علي 227

- **التطبيقات العملية للتسامح الإسلامي مع غير المسلمين**

د. عبد الرازق ضرعام عيسى 259

- **تصنيف العلوم عند المسلمين**

د. مرزوق العمري 289

- **العبث في الشعر الجاهلي**
  د. محمد حسين ضو 305
- **شعرية المفارقة قراءة في شعر الجواهري**
  د. محمد كريم الكواز 343
- **تجليات الخطاب الشعري وأصداء التواصل الثقافي بين عُمان والمغرب الإسلامي**
  د. محسن بن حمود الكندي 383
- **الخلاف البلاغي المفهوم، والتاريخ، والإجراء**
  د. أحمد عبد الجبار فاضل 431
- **السيميائيات واللسانيات المصطلح وأيديولوجيا التأصيل**
  د. عبد السلام أبوزكري شرماط 453
- **حصص التأسيس والسندات التي تصدرها شركات المساهمة**
  أ. هدية عبد الحفيظ مفتاح بن هندي 473
- **إستراتيجية تطوير المناهج التعليمية من منظور واقعي**
  د. الطاهر محمد بن مسعود 509
- **الرضا الوظيفي لدى عينة من معلمي ومعلمات مرحلة التعليم الثانوي وعلاقته ببعض المتغيرات دراسة ميدانية**
  أ. نجاة سالم عبد الله زريق 533
- **مفهوم الذات وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي لدى عينة من طالبات كلية التربية بجامعة المرقب**
  أ. أحمد محمد معوال 567
- **دور البريد في خدمة الإدارة العسكرية عند المماليك في بلاد الشام**
  أ. حمزة محمد علي البكوش 591

السيميائيات واللسانيات

المصطلح وأيديولوجيا التأصيل

د. عبد السلام أبوزكري شرماط*

تسويغ

العلوم الإنسانية لغات واصفة لموضوع موصوف هو الإنسان بوصفه كائنا متعدد الأبعاد، فهو ذو بعد سيكولوجي يستدعي البحث في حقيقته اللاشعورية، وهو بالتالي بعد فردي ذاتي في الإنسان لا يمكن له أن يمس جميع ممارسات هذا الكائن أو يكشف عنها، ومن تم وجب التحول إلى بعد سوسيولوجي على اعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي يستمد وجوده من خلال علاقته بأخيه الإنسان، وهذا يعني أن الإنسان كائن حضاري، والحضارة في الأنثربولوجيا تعني أن الإنسان كائن ثقافي يحقق التواصل بواسطة اللغة بوصفها الأداة التي بفضلها يمكن صياغة مشاعره وانفعالاته وجهوده وإرادته وحالاته، بها يمكن أن يؤثر ويتأثر، مع الأخذ بعين الاعتبار حدود اللغة التي يمارس بها فعل الرفض أو فعل التلقي والتوافق.

وقد وقر في أذهان كثير من الباحثين «أن اللغة أداة اتصال فقط، وفي هذا ما فيه من سوء فهم لحقيقة اللغة، فهي ليست أداة اتصال فقط، وإن كان الاتصال واحدا من وظائفها المتعددة. اللغة تواصل لا اتصال فقط، والفرق بينهما كبير، لأن الاتصال يكفي لحدوثه إرسال من طرف واحد، وليس كذلك التواصل، وإذا أضفنا إلى ذلك أن التواصل

* جامعة الجبل الغربي.

ينطوي على قدر كبير من القيم الاجتماعية والإنسانية، عرفنا أنهما مختلفان جملة وتفصيلا، ففي حياتنا اليومية قدر كبير من التصرفات والأقوال التي نعبر بها عن مشاعرنا، ونتلقى بها مشاعر الآخرين، فنعطي ونأخذ، ونرسل ونستقبل، فيكون بذلك المرسل باثا ومستقبلا، ويكون كذلك حال المستقبل، ولا تستقيم الحياة ببث من طرف واحد، بل لا بد من أن نتبادل مع الآخرين مشاعرهم وأفكارهم، واقتراحاتهم، ويكون التواصل، وتكون اللغة هي الأداة التي تحدث ذلك وتؤديه ... »[1].

إن التركيز على وظيفة التواصل في اللغة، هو دعوة إلى توسيع مجالات اللسانيات لتشمل رحابة المعرفة وتشعباتها، وأن تفك عزلتها بالتفاعل مع حقول علوم الإنسان.

ويبدو أن التواصل البشري هو تواصل معقد أكثر من أي اتصال آخر، فالتواصل بين المرسل والمتلقي بواسطة رسالة يقتضي التعاون والتوافق بين الطرفين قصد إيصال الرسالة حتى وإن تضمنت شيفرات متواضع عليها، لا سيما وأن استعمال العلامة لا يتم إلا داخل الحياة الاجتماعية، يقول سوسير: « يمكن إذن تصور علم يدرس حياة الأدلة داخل الحياة المجتمعية ... سنسميه بعلم الأدلة semiologie من الإغريقية semeon »[2].

وإذا كانت اللسانيات تكتفي في دراستها بما هو لغوي ولفظي، فإن السيميائيات تدرس ما هو لغوي وما هو غير لغوي، أي تتعدى المنطوق إلى المنظور كعلامات المرور والأزياء والطبخ لتشمل تساؤلات حول المعنى، لأنها تدرس السلوك الإنساني باعتباره حالة ثقافية منتجة للمعنى، فالوجود الإنساني بوصفه وجود للمعنى وفي المعنى، أنتج مجموعة من المفاهيم المعبرة عن هذا المعنى في إطار الممارسة الإنسانية، وأن أي تساؤل عن المعنى هو في الواقع تساؤل عن معنى النشاط الإنساني بوصفه المنطلق الرئيس لتشييد منظومة لغوية يتداخل فيها النفسي بالاجتماعي والتاريخي بالديني، فتترتب عنه منظومة معرفية مائزة يمد فيها الفرد المجتمع بنشاطات تغذي العلاقة التواصلية، إذ أن العلاقة بين الفرد والمجتمع هي علاقة ثنائية الاتجاه، وإن كانت اللغة الجمعية أقوى تأثيرا من لغة الفرد « لأن التفكير الجمعي هو الذي يملي وجوده

1- سمير شريف استيتية، ثلاثية اللسانيات التواصلية، عالم الفكر، العدد3، مجلد 34، 2006، ص. 8.

2- F. SAUSSURE,. cours linguistiques generales,edition PAYOT,p. 33

على الفرد، على نحو أو آخر، باعتبار انتماء الفرد إلى النظام اللغوي للجماعة، فلا وجود لفرد في الكون يختار لغته بنفسه، وإنما هي لغة المجتمع، ولا وجود لفرد في العالم يختار أن يولد في مجتمع دون غيره.

ولا يستطيع أحد مهما تحرر من قيود المجتمع أن يتخلص منه بالكلية، فقد تظل له رؤية خاصة في إصلاح المجتمع وقيادته، ويظل -حتى في أشد نظراته تحررا من مجتمعه- مرتبطا به بروابط تقوى أو تضعف، تظهر أو تختفي، لكنها في النهاية روابط تواصلية، لأنه سيكون له -في المحصلة النهائية- أثر في لغة مجتمعه مهما كان ضعيفا »(3).

مفاد هذا الكلام أن النشاط اللغوي الفردي لا قيمة له بمعزل عن النشاط اللغوي الجمعي، إذ يظل المجتمع هو المعين الذي يساعد الفرد على إنجازاته اللغوية، ومن هذا المنطلق تأتي دراستنا للبحث في علم انطلق من اللغة نحو النقد وفي بيئتين مختلفتين هما: البيئة الأنجلو ساكسونية، (شارل. س. بيرس) والبيئة الفرنكوفونية (ف. سوسير- رولان بارث) بيئة المنطق، وبيئة الصور، كل بيئة يحكمها حقل ابستمولوجي، وخلفية أيديولوجية قصد تأصيل وتثبيث هذا العلم في إطار خطاب نقدي يدعي أنه يقصي الحقيقة المطلقة، ويعادي كل دوغمة (dogma) عبر ممارسة أيديولوجية يلتقي فيها المنهجي بالمعرفي، علما أن الفرد قد ينتقل من دائرة التعبير عن منظومة منهجية إلى دائرة التعبير عن منظومة أيديولوجية قوامها مبادئ معرفية، فالمبدأ المعرفي -مثلا- الذي قامت عليه البنيوية هو مبدأ العلائقية، فالعنصر لا قيمة له في ذاته، وإنما قيمته في علاقته بالعناصر الأخرى، ومن ثم يبقى العنصر شيئا نسبيا بمفرده، ولا قيمة مطلقة في ذاته، بخلاف ذلك يتفرع المبدأ الأيديولوجي إلى منظومة تعادي المركز centralism، بمعنى ليس هناك مركز يتحكم في العناصر الأخرى، وفي مقابل ذلك، توجد منظومة أيديولوجية تؤمن بالاختلاف وتعدد الحضارات.

دأب الدارسون على البحث في علم اللغة عبر اتجاهين هما: اللسانيات والسيميائيات، والحرص على التمييز بينهما على اعتبار أن كل علم يتمتع بنوع من التفرد والتميز، يقول الباحث محمد السرغيني: « ليست السيميولوجيا غير ذلك العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات أيا كان مصدرها لغويا أو سننيا أو مؤشريا، وبما أن

3- عالم الفكر، العدد3، مجلد 34/ 2006، ص. 10.

علامات اللغة تتمتع بنوع من التفرد والامتياز عن باقي أنواع العلامات الأخرى، فإنها تخرج عن محيط هذا التعريف، الشيء الذي تتحول معه هذه السيميولوجيا إلى علم يدرس أنظمة العلامات غير اللسانية »[4].

إن هذا العلم كما تنبأ به سوسير، وتصوره شارل سندريس بيرس، يطمح إلى أن يكون علما لجميع أنساق العلامات اللغوية وغير اللغوية، وإن كان قد انطلق من إشكال عميق تمثل في علاقة السيميائيات باللسانيات: ما الفرع؟ وما الأصل؟، ويتعلق هذا الإشكال بنزاع كان مدعاة لزوبعة من النقاش بين تيارين هما:

1. تيار سيميولوجيا التواصل.
2. تيار سيميولوجيا الدلالة.

ويقودنا هذا الإشكال إلى طرح سؤال مفاده، ألم يكن للدرس النقدي العربي القديم دور في التقعيد لمثل هذه المفاهيم، وفي إطار نقاش نقدي ينهض على أسس معرفية شاملة؟

ولأن شرط أي بحث علمي هو ضبط المصطلحات وتحديدها تحديدا علميا، تقتضي الضرورة المنهجية تناول مصطلح / سميوطيقا، سيميولوجيا بالدرس قصد بيان حدود الاشتغال.

1. العلامة بين بيرس وسوسير

يعد فرديناند دي سوسير وشارل ساندريس بيرس مصدرين من أهم مصادر التفكير السيميائي فعلى الرغم من عدم التقائهما أو القراءة لبعضهما، فإنهما أسهما في تأسيس علم نقدي لغوي شامل هو علم السيميائيات/ علم العلامات، انطلاقا من الحديث عن معطيات العلامة وتصنيفاتها وميادين تنظيرها وتطبيقها:

أ. شارل سندريس بيرس

انطلق هذا الباحث في حديثه عن الدليل من خلال تحديد الحقول التي تهتم بالأدلة، في إطار النظرية العامة للأدلة التي تقوم على ثلاثة حقول هي حقل التركيب

4- محمد السرغيني، محاضرات في السيميولوجيا، سلسلة الدراسات النقدية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1987، ص5.

syntax (ويدرس العلاقات الصورية بين الوحدات داخل الجملة)، وحقل الدلالة semantix (ويهتم بالعلاقات الدلالية داخل الجملة- أحمر وحدة دلالية)، وحقل التداول pragmatix (ويهتم بالعلاقات بين اللغة ومستعمليها). إن هذا التصنيف الذي رامه شارل ساندريس بيرس هو تقسيم استند فيه على أسس منطقية إيمانا منه أن المنطق قاعدة أساسية للتفكير، وبالتالي قاعدة لا تنفصل عن الظاهراتية (phenomenology) التي تسهم في تحديد الإدراك من خلال البحث في الأصول الأولى لانبثاق المعنى من السلوك الإنساني، ومن ثمة يمكن القول، إن بيرس ربط السيميوطيقا بعملية الإدراك التي تقود الكائن البشري إلى الخروج من ذاته ليلج بها عالما ماديا، وعلى ضوء هذا التصور، اقترح بيرس رؤية فينومينولوجية للإدراك ترى في كل الأفعال الصادرة عن الإنسان سيرورة بالغة التركيب والتداخل، فكل ما يفعله الإنسان وكل ما يحيط به، يمكن النظر إليه كمستويات ثلاثة متداخلة، تأتي كالآتي:

المرحلة الأولى: عالم من الأحاسيس المفصولة عن الزمان والمكان، وهي مرحلة الإمكان التي لا شيء فيها يوحي بأن معطياتها قد تتحقق في واقعة ما، فالفرح مثلا قبل أن يتحقق، لم يكن سوى حالة شعورية محتملة. (الأولانية).

المرحلة الثانية: وهي التحقق الفعلي للمعطى، أي أن الأحاسيس التي كانت في المرحلة الأولى ممكنة، أصبحت هنا فعلية. (الثانيانية).

المرحلة الثالثة: وهي جهاز مفاهيمي يعمل على نقل المعطى من بعده المحسوس إلى معطى مكسو بغطاء مفهومي، وبالتالي يساعد الجهاز المفاهيمي على تأويل سلوك ما بوصفه سلوكا دالا على الفرح لا على البكاء. (الثالثانية).

نفهم من هذا التقسيم إذن، أن الأولانية تحيل على الثانيانية عبر الثالثانية، وعلى هذا الأساس لا يمكن فهم «التصور البورسي للعلامة إلا من خلال استيعاب الميكانيزمات الإدراكية كما تصفها هذه السيرورة إذ لا يشكل التعريف الذي قيده بورس للعلامة سوى الوجه الإجرائي لرؤية فلسفية ترى في التجربة الإنسانية كلها كيانا منظما من خلال هذه المقولات الثلاث التي تشير إلى سيرورة إدراكية غير مرئية، وهي مقولات تعد أصل ومنطلق إدراك الكون وإدراك الذات وإنتاج المعرفة وتداولها»[5].

5- أدهم شيخو، السيميائيات. مفاهيمها وتطبيقاتها، ملحق الثورة القافي، 2007، نقلا عن موقع:
http: thawra. alwehda. gov. sy

وتتسم خطوات بيرس بميزتين هما:

1. أنها تحليل فلسفي منطقي، إذ اتسم تحليل بيرس للعلامات بوصفه تحليلا فلسفيا منطقيا من حيث استخدام المصطلح الفلسفي، ثم تصنيف العلامات وفقا لذلك، ولا غرابة في ذلك مادام الرجل/ الفيلسوف اشتغل في الميدان الفلسفي بشكل واسع أكثر من الميدان النقدي.
2. الإيغال في التقسيم والتفصيل حيث اعتمد بيرس في تقسيمه للعلامة على تقسيم ثلاثي، فبيرس يعتمد التفريع الثلاثي بخلاف سوسير الذي كان ثنائي التفريع[6].

إن المفهوم الأساسي لسيميائية بيرس هو الصيرورة (السيميوزيس semiosis) التي يعمل بموجبها شيء ما بوصفه دليلا، وتحتوي هذه الصيرورة على عناصر ثلاثة هي: الممثل، الموضوع، والمؤول، وهي أقسام العلامة كما صنفها بيرس، وتكمن المهمة الأساسية عنده في تحليل اشتغال الدليل في الاستعمال الفردي للصيرورة بوصفها ذات وظيفة دلالية تواصلية.

ومن هنا، تسلم سيميائيات بيرس بضرورة ربط التفكير بالعلامات، وتنظر إلى التفكير أنه علامة[7] وكان ذلك تنظيرا يرتكز على مبادئ المناطقة، فالعلامة جزء من علم المنطق logic logie.

والجدير بالإشارة، أن المنهج السيميوطيقي وإن كان قد نهض في معظمه على جهود بيرس، فقد أسهم في ظهور العلامات والرموز بداية القديس أوغسطين، ثم جون لوك الذي انشغل بالنتائج الفلسفية للسيميوطيقا، وسيغموند فرويد الذي عمل على إخضاع الرموز لأنظمة العلامة في مرض الذهان، كما قدم كلر تشخيصا عاما ومفيدا للمجال الذي نشأت فيه السيميوطيقا وترعرعت، مشيرا إلى ما نشر في فترة ما بعد الحرب، مثل (فلسفة الأشكال الرمزية) لكاسيرر (1923-1931)، و(الرمزية معناها وأثرها) لواتهيد (1927)، و(الفلسفة بأسلوب جديد) لسوزان لانجر (1942)، وجميعهم كانوا مهتمين بالبعد الرمزي في التجربة الإنسانية. ويشير كلر كذلك إلى أشخاص في خصوبة ماركس، وفرويد، ودوركايم، أولئك الذين أوضحوا وبشكل درامي، أن ما جعل

6- ويكيبيديا الموسوعة الحرة، سيميولوجيا، ص1.

7- جيرارد لودال، بيرس وسو سير، ترجمة عبد الرحمن بوعلي، مجلة العرب والفكر العالمي، ع3، 1988، ص117.

التجربة الفردية ممكنة، هو الأنظمة الرمزية للجماعات، سواء كانت هذه الأنظمة أيديولوجيات اجتماعية، أو لغات، أو أبنية اللاوعي[8].

ب. فرديناند دو سوسير

أسس حقل اللسانيات العامة بتأسيس تصور محدد عن اللسان من حيث الموضوع ومن الناحية المنهجية:

من حيث الموضوع

نظر سوسير إلى اللسان بوصفه نظام systeme أي كلا من الوحدات سماها بالأدلة اللسانية، وحدد الدليل اللساني على أنه يتكون من دال ومدلول في العلاقة بينهما تنتج الدلالة، وكما أن الدلالة علاقة ناتجة عما هو عرفي أي اعتباطي، وكما أن المدلول شيء موجود ذهنيا، والدال موجود بالملموس أي صوتيا، فإن بنية الدليل اللساني تقتضي الإقرار بشيء له طابعه الخاص أي المرجع، الشيء في العالم الخارجي.

من حيث المنهج

صرح سوسير أن منهجه هو دراسة اللسان في ذاته ومن أجل ذاته، واستبعد عامل الزمن أي لا ندرس اللسان في الزمن ولكن في ذاته، أي يدرس اللسان على أنه كل من السنن (codes).

وهذه الغاية هي التي تمكن من دراسة اللسان في ذاته ومن أجل ذاته في ضوء منهج سانكروني يبحث في العلاقات الداخلية.

إن اهتمامنا لا ينصب على إسهام سوسير في النظرية اللغوية في حد ذاتها، وإنما في النظر إلى اللغة بوصفها نهجا معرفيا paradigm لكل الأنظمة الثقافية لإنتاج المعنى بما فيها الأدب، يقول سوسير: « تشتغل العلوم الأخرى على موضوعات مسبقا، ثم يمكن النظر لهذه الموضوعات من وجهات نظر مختلفة، ولكن ليس الأمر كذلك في علم اللغة ... فبدلا من أن يسبق الموضوع وجهة النظر، يبدو أن وجهة النظر هي التي

8- ستيفن بان، السيميوطيقا، من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، تحرير رامان سلدن، ترجمة مجموعة من الباحثين تحت إشراف، جابر عصفور، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، العدد 1045، الطبعة الأولى، 2006، ص 156.

تخلق الموضوع »[9].

ويقصد سوسير بهذا الكلام، أن الموضوعات لا يمكن دراستها إلا بفهم الأساس اللغوي من خلال الالتقاء بين ما هو سمعي وما هو مفهومي، أي أن الحقيقة الأساسية لأية لغة تتمثل في ربطها المنهجي للأصوات بالمعاني، كما وضع إمكانية لتصور علم يدرس حياة العلامات في المجتمع. فكيف نظر سوسير إلى العلامة؟

أول ما تحدث سوسير عن العلامة، تحدث عنها في كتابه (محاضرات في الألسنية العامة)، هذا الكتاب الذي أعاد كتابته تلميذا سوسير (شارل بالي وسيشهاي)، فكان حديثه إعلانا عن ميلاد علم السيميولوجيا الذي يعنى بدراسة أنظمة العلامات والرموز بوصفها وسائل تواصلية بين الأفراد، وحدد هذه العلامات في الخط والكتابة والعلامات العسكرية والبحرية، بينما رأى في الشعائر الرمزية والتقاليد والبدع مجالا لا علاقة له بالسيميولوجيا.

وتقوم العلامة عند سوسير على علاقة ثنائية، إذ تجمع بين الصورة الذهنية والصورة السمعية، أي الدال (صورة صوتية سمعية)، والمدلول (صورة ذهنية مفهومية) وعنهما تنتج الدلالة، ولعل الطرح الذي تقدم به سوسير في ثنائية العلامة إنما يعود إلى مبدأ قائم على العلائقية، فالرجل نظر إلى اللغة كنظام تتعلق عناصره بعضها ببعض، لذلك كانت الدلالة هي نتاج العلاقة القائمة بين الدال والمدلول، وبهذا ظلت العلامة في فهم سوسير علامة لغوية، وبالتالي هي أساس السيميولوجيا، يقول ديريك أتريدج: يرى سوسير أن الاستخدام التقليدي لكلمة (العلامة) التي يفترض أنها تقابل (المعنى) يتورط في تهريب المعنى كذلك. والمصطلحات التي وضعها لتصحيح المصطلحات القديمة تأخذ أحسن ما في هذا اللبس، حيث ترمز العلامة لضم الدال والمدلول: ومن ثم أي مصطلح من المصطلحات الثلاثة يتضمن المصطلحين الآخرين. والفرق بين (العلامة) و(الدال) ضئيل، ولكنه فرق حاسم، وبعض التناقضات التي وقعت فيها التطبيقات اللاحقة لمفاهيم سوسير تنبع من العجز عن إدراك ذلك الفرق. فالإيماءة التي نطلق عليها إيماءة التحية، والتي نقوم بها في مناسبات معينة ليست علامة أو دالا في حد ذاتها، فهي مجرد حركة جسدية، وفي شفرة الإيماءات العسكرية تكون علامة تجمع بين الدال (الإيماءة الجسدية كما يفهمها الشخص الذي تشرب تلك الشفرة). ويذهب سوسير إلى أننا

9- ستيفن بان، السيميوطيقا، من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، ص98.

بإمكاننا النظر إلى العلاقة بين الدال والمدلول مثلما ننظر إلى العلاقة بين وجه الورقة وظهرها: « ليس بإمكان المرء أن يقطع وجه الورقة دون أن يقطع ظهرها في الوقت ذاته »[10].

ج. معطيات في العلامة

أوضح الدكتور محمد سالم سعد الله في بحث له بعنوان (من التداولية إلى السيميائية ... أسس ومعطيات) الفروق النقدية بين ما قدمه كل من سوسير وبيرس من معطيات عن السيميائية في النقاط الآتية:

1. انطلق سوسير منهجيا انطلاقة لغوية لسانية، أما بيرس فكانت انطلاقته فلسفية منطقية.
2. العلامة عند سوسير تتكون من دال ومدلول (صورة مفهومية + صورة صوتية سمعية)، بينما تتكون العلامة عند بيرس من الممثل والموضوع والمؤول.
3. أكد سوسير على أهمية العلامة داخل نظامها في النص، في حين أكد بيرس على أهمية العلامة في علاقتها بعوالم ثلاثة (الممكنات- الموجودات- الواجبات).
4. العلامة عند سوسير لغوية، وعند بيرس لغوية وغير لغوية.
5. علامة سوسير هي أساس السيميولوجيا، وعلامة بيرس هي أساس السيميوطيقا.

وذكر الدكتور محمد السرغيني في كتابه (محاضرات في السيميولوجيا) ملاحظتين مهمتين تتعلقان بسوسير وبيرس، يقول: وهنا لا بد من ملاحظتين اثنتين: أولاهما أن سوسير لغوي، وأن بيرس فيلسوف ومنطقي وعالم مساحة Geodesiste. إنه في فلسفته وفي منطقه ينتمي إلى المدرسة الأمريكية المسماة بالذرائعية، ولذا فكل واحد منهما أخذ العلامة من الزاوية التي تهم اختصاصه، وطبيعي أن يكون ما بينهما من الاختلاف في مفهومها هو ما بين موضوعي المنطق واللغة من الاختلاف. وثانيهما أن الاقتصار على ذكر بيرس، لا ينهض حجة على أن هناك اتجاها أمريكيا في السيميولوجيا، ذلك أن مفهوم بيرس للعلامة لا يكفي وحده لكي يتأسس عليه اتجاه كله، فلابد إذن من تعميق لهذا المفهوم وتفريع له حتى يصبح نظاما، ولا بد أيضا من وجود تلاميذ وأتباع يعملون على بلورة هذا النظام وتحديد آفاقه[11].

10- ديريك أتريدج، النموذج اللغوي وتطبيقاته، ترجمة مجموعة من الباحثين، إشراف جابر عصفور، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، العدد1045، ص103.

11- محمد السرغيني، المرجع نفسه، ص58.

2. سيميوطيقا/ سيميولوجيا وإشكالية المصطلح

واجه السيميائيون إشكالا من خلال وجود مصطلحين مختلفين هما سيميوطيقا وسيميولوجيا، إذ استعمل ف. سوسير (1858- 1913) مصطلح سيميولوجيا في كتابه (محاضرات في اللسانيات العامة) 1916، والمصطلح مشتق عن الاشتقاق اللاتيني من الكلمة الإغريقية semeon التي تعني الدليل كمصطلح etymologie المشتق من لفظة etymon.

وإذا كان الأوربيون يرون في السيميولوجيا إنتاجا فرنسيا يشتغل على الدرس اللغوي واللسانيات، فإن السيميوطيقا إنتاجا أنغلوسكسونيا ارتبط بشارل سندرس بيرس في كتابه (كتابات حول العلامة)، ومن تم أمسى علما يشتغل على ما هو نصي وتطبيقي وتحليلي، مثل النص الأدبي. لماذا الاختلاف إذن؟ وما الهدف منه؟

يقول محمد السرغيني: « إن التقسيمات التي قدمناها سابقا للسيميولوجيا هي تقسيمات ترتكز أساسا على الهدف منها، ذلك أن لها هدفين: هما الإبلاغ والدلالة. تدخل في الأول كل التفريعات التي تقف في هذا الصدد عند حدود الإبلاغ لا تتعداه، ويدخل في الثانية البحث عن الأشكال الرمزية، لأنه يتغيى الدلالة. غير أن السيميولوجيا من حيث المنشأ، يمكن تقسيمها إلى اتجاه أمريكي وآخر فرنسي وثالث روسي، فمن حيث يصر كل من الاتجاهين، الأميريكي والروسي على استعمال لفظة السيميوتيقا للدلالة على هذا العلم، يستعمل الاتجاه الفرنسي اللفظتين معا. ذلك أن بارث وتلاميذه يستعملون لفظة السيميولوجيا، في حين أن جماعة غريماس وجان كلود كوكي تستعمل لفظة السيميوتيقا »[12].

وعلى الرغم من هذا الاختلاف، فإن ثمة اتفاقا بين السيميائيين كان في أول مؤتمر للسيميائيات في ميلانو بإيطاليا، حيث اتفق هؤلاء (بنفنست- يلمسلف- بارت- كريماس ...) على مصطلح semiotique، وإن ظل مصطلح سيميولوجيا رائجا عند رولان بارث.

أما في حقلنا الثقافي العربي، فقد قام الأستاذ محمد البكري بترجمة semiologie إلى علم الأدلة، وترجم semiotique بالدلائلية.

12- محمد السرغيني، المرجع نفسه، ص55.

3. السيميائيات بين التواصل والدلالة

أ. سيميولوجيا التواصل

تقوم اللسانيات التواصلية على منظومة ثلاثية الأقطاب أولها المرسل، باعتباره صاحب المبادأة في التواصل، وثانيها المستقبل باعتباره هدفا مباشرا للرسالة، وثالثها المجتمع، باعتباره مصدر العلاقة بين أطراف التواصل، باعتباره كذلك مصدر النظام الذي تبتني على أساسه هذه العملية[13]. ويستند التواصل عند جاكبسون على ستة عناصر هي: المرسل والمرسل إليه والرسالة والقناة والمرجع واللغة، ويعتبر جاكبسون التواصل وظيفة أولية للغة البشرية، والأساس المرجعي لهذا المفهوم هو نظرية الإخبار[14]. ويرى أنصار سيميولوجيا التواصل (مارتيني- مونان - بويسانس- جاكبسون ...) أن موضوع السميائيات هو الأنظمة السيميائية اللسنية التي يتوفر فيها شرطان أساسيان هما: القصدية لدى المخاطب، والتعرف لدى المخاطب، أي أن العلامة تنهض على ثلاثة عناصر هي: الدال والمدلول والوظيفة القصدية.

ويجدر التنبيه إلى أن التواصل نوعان: تواصل إخباري لساني لفظي يتم بواسطة اللغة، وتواصل إخباري غير لساني ويتم بواسطة الإشارة أو العلامة[15].

وذكر محمد السرغيني أن ايريك بويسنس نظر إلى الإبلاغ غير اللساني كلغات غير اللغات المعتادة، وصنفه وفق ثلاثة معايير هي:

- معيار الإشارية النسقية، وفيه تكون العلامات ثابتة ودائمة مثل علامات السير.
- معيار الإشارية اللانسقية، وتكون فيه العلامات غير ثابتة مثل ملصقات الدعاية والإشهار حيث الألوان الجاذبة التي تثير انتباه المستهلك.
- معيار الإشارية: مثل الشعارات الصغيرة التي ترسم عليها رسوما ثم تعلن على واجهات المتاجر دليلا على ما يوجد فيها من البضائع، حيث العلاقة الجوهرية لمعنى مؤشرها، وقد يكون لمعنى مؤشرها علاقة ظاهرية كذلك مثل علامة الأفعى على واجهة الصيدلية.

13- أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة ...، المركز الثقافي العربي ط1، 2005، ص 9.

14- سمير شريف استيتية، المرجع نفسه، ص7

15- عبد الرحيم العماري، المغيب في المشروع السيميائي لدى رولان بارت، نقد، ص5

أما الإبلاغ اللساني فهو –حسب سوسير– حدث اجتماعي يظهر في الدائرة الكلامية، وهذا يتطلب مجموعة من الأشخاص أقلهم شخصين.

ويرى جون لوي كالفيه أن سيميائيات التواصل ليست سوى علما للسان، تنظر إلى اللسان بوصفه أداة محايدة في التواصل، وبهذا تكون سيميائيات التواصل قد أخرجت اللسان من حقول المجتمع والسياسة والاقتصاد، إنه تبييض إيديولوجي للسان، جعلها تغض الطرف عن حقيقة أساسية مفادها أن اللسان يستعمل استعمالا خاصا من طرف كل طبقة اجتماعية.

ب. سيميولوجيا الدلالة

في الوقت الذي صرح فيه سوسير بأن اللسانيات هي فرع تابع للسيميائيات، قلب رولان بارث المعادلة، وتجاوز الأنظمة اللسنية إلى نظيرتها غير اللسنية، وحاول دراسة أنظمة غير لسنية مثل الموضة باللغة الواصفة اللسنية، ولعل المبدأ الأساسي الذي انطلقت منه كتابات بارث، لاسيما كتابه (مبادئ في السيميولوجيا) 1964، هو أن كل أشكال الأداء الإنساني تستلزم نسقا متمثلا من علاقات الاختلاف. هذا المبدأ يطبقه بارث على كل ألوان الممارسات الاجتماعية التي يفسرها على أنها أنساق علامة تعمل بالطريق التي يعمل بها النسق اللغوي، بالمعنى الذي يجعل أي كلام parole فعلي يستلزم نسقا (لغة) من الاستخدام. ويدرك بارت أن نسق اللغة قابل للتغيير، وأن تغيره يقع في الكلام، ولكنه يؤكد أن دراسة الكلام في أي لحظة من لحظاته لا بد أن تكشف عن نسق فاعل، هو مجموعة القواعد التي تصدر عنها كل ألوان الكلام، مثل دراسة بارت لارتداء الملابس في دراسته عن الزي، حيث لا يرى عناصر اللبس بوصفها أمر تعبير شخصي أو أسلوب فردي بل أمر (نسق لباسي) يعمل بالطريقة التي تعمل بها اللغة، ومن ثم يقسم لغة الملابس إلى قسمين (نسق)، و(كلام) (تشكيلة). لقد حاول رولان بارت، فوق ما تقدم، صناعة كلام هو كلام اللباس، ليغدو معادلا لكلام الجملة التي ينطقها الأفراد لبلوغ الهدف أو أداء الغرض.

لقد نظر بارت إلى اللغة بوصفها أساس دراسة كل الأنظمة غير اللغوية، وفي دراسته للباس (نظام الموضة) لم يؤكد على اللباس، أو على اللغة، وإنما ركز على ترجمة اللباس إلى لغة.

وإذا كان الفارابي يرى أن علم النحو يعطينا قوانين في الألفاظ، وعلم المنطق

يعطينا قوانين في المعقولات[16]، فإن بارت يرى « أنه من الصعب جدا تصور إمكان وجود مدلولات نسق صور أو أشياء خارج اللغة، فلا وجود لمعنى إلا لما هو مسمى، وعالم المدلولات ليس سوى عالم اللغة »[17].

إن الخلاف المطروح بين الوظيفيين، وسيمولوجيا الدلالة، مرده إلى نزاع يستند فيه كل واحد على أبعاد لها أسس معرفية، فسيميائيات التواصل تجعل من اللسان أداة بيضاء تغطي ما هو منسي ومخفي في عملية التواصل[18]، بينما يؤكد بارت على تلاحم التواصل والدلالة، لأنه لا تواصل دون دلالة، لذلك حاول بارت معالجة قضايا أساسية وأولية في كتابه (مبادئ في السيميولوجيا)، منها اللسان/ الكلام، الدال/ المدلول، التركيب / النظام، التقرير/ الإيحاء، إذ نظر إلى هذه الثنائيات بوصفها عناصر تقوم عليها سيمياء الدلالة، وبالتالي هي لغة واصفة للسيميولوجيا.

4. قضية اللسانيات والسيميائيات: ما الفرع؟ ما الأصل؟

إذا كانت اللسانيات تميز بين اللغة والكلام، وتجعل وجودهما ضروريا لها، فإن السيميولوجيا لا تفرق بينهما، إذ يستحيل في الأولى وجود لغة بدون كلام، بينما تتعاقب في الثانية اللغة والكلام، فاللباس كما هو موصوف في نظام الموضة يعتبر لغة من حيث إنه إبلاغ لباسي ويعد كلاما من حيث إنه إبلاغ شفوي.

وفي هذا الإطار تجدنا أمام مشكلتين اثنتين حددهما محمد السرغيني في الآتي:

1. أن وضع اللغة تم بتواطؤ المتكلمين بها على ما فيها من دلالات، لذلك من الصعوبة بمكان تصور كلام لا يغرف من مخزون اللغة، بخلاف ذلك تم وضع العلامات مجال السيميولوجيا بطريقة انفرادية اعتباطية لتدل على ما تدل عليه.
2. إذا كانت اللغة والكلام متناسبين من حيث الحجم في اللسانيات على اعتبار أن اللغة مجموعة من القواعد التي يستظل الكلام بظلها، فإن اللغة والكلام في السيميولوجيا لا يتناسبان في الحجم بسبب المسافة الموجودة بين النموذج وإنجازه في نظام اللباس، حتى ليكاد أن يكون لغة بدون كلام.

16- جميل حمداوي، سيميولوجيا التواصل وسيميولوجيا الدلالة، دراسات أدبية، ثقافية

17- رامان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، دار قباء، 1998، ص93.

18- الفارابي، إحصاء العلوم، ص 13.

وعلى هذا الأساس، ا نتقد بارت أطروحة سوسير التي تـروج إلى أن السـيميائيات هي الأصل، واللسانيات هي الفرع، فقد ذكر سوسير أن اللسانيات هي علم يهـتم بالـدليل اللساني، بينما تـدرس السـيميائيات جميـع الأدلـة، لـذلك تصـبح اللسـانيات فرعـا تابعـا للسيميائيات، بخلاف ذلك تفرد بارت برأي آخـر ذكـر فيـه: « يجـب إذن قلـب المعادلـة السوسيرية، والتأكد من أن السيميولوجيا جزء من اللسانيات» وأضـاف بـارت: «أن نقبـل منذ الآن إمكانية عكس اقتراح سوسير يوما ما، فليست اللسانيات جزءا، وإن كان ذا امتيـاز من علم الأدلة العام، بل السيميولوجيا هي التي تشكل جزءا من اللسانيات، فهي بكل دقـة ذلك الجزء الذي يهتم بالوحدات الكبرى الدالة للخطاب»، ومفاد هذا الكـلام عنـد بـارت هو أن اللسانيات أعم من السيميائيات، مادامت اللغة هي أساس لدراسة كل الأنظمـة غـير اللغوية، في حـين نظـر إليهـا سوسـير كفعـل سـيميائي. إن القـول بالأصـل والفـرع بـين اللسانيات والسيميائيات مـرده إلى الحمولـة المعرفيـة الـتي تـزود بهـا كـل مـن سوسـير ورولان بارت، فالأول استمد مشروعه اللغوي القائم على أن اللغة ظاهرة عامـة مـن علـم الاجتماع وتحديدا من إيميل دوركايم، وربما في ذلك تمركز حـول العقـل الـذي اسـتند عليه الفكر الغربي الـداعي إلى الحضـور والتعـالي، الـذي ستقصـيه فيمـا بعـد التفكيكيـة بتأكيدها على التعدد والاختلاف[19].

أما رولان بارت فانصب جهده على تفكيك المستوى الباطني والمسكوت عنه في الأدلة المجتمعية البورجوازية، هذه الأخيرة التي لا تمتلك الجرأة على الظهور لأنها بنيـت على التناقض، لهذا راح رولان بارت يبحث عن اللغة في الأنظمـة غـير اللغويـة، في نظـام الموضة، في الإشهار، في الطبخ، في الرياضـة، في الخرافـة ... قصـد الكشـف عـن القنـاع القائم على التحريف الذي استندت عليه البورجوازية في الخرافة، فالخرافة في نظر بـارت نظام سيميائي مجتمعـي يقـوم بوظيفـة التحريـف للحقيقـة الطبيعيـة والإنسـانية، ويمكـن توضيح ذلك عبر الخطاطة الآتية: مرســـل ---------- رسـالة ----------
مرسل إليه

مجموعة بشـرية ---------- خرافـــة ---------- عادي

البورجوازيـــــة ---------- قنـــاع ---------- عالـم (بارث)

لقد كان بارت يرمـي إلى أن القنـاع يظهـر الطبيعـي الحقيقـي، ولكـن في الوقـت

19- حنون مبارك، دروس في السيميائيات، ص74.

نفسه يخفي الثقافي أي الأيديولوجي، ومن ثم فالإيديولوجيا نظام ثقافي لا يختفي إلا وراء نظام طبيعي حقيقي، وإذا كان الكاتب المبدع يعي أن كل كتابة إنما هي عمل مصنوع، ويمضي في التلاعب بها، « فإن البورجوازية –وهي العدو اللدود لبارث– تدعم النظرة الآثمة إلى القراءة بوصفها عملية طبيعية، وإلى اللغة بوصفها أداة شفافة. وإذا كانت الإيديولوجيا البورجوازية لا تكف عن النظر إلى الدال بوصفه قرينا ثابتا لمدلول لا يفارقه، لتقمع كل خطاب في معنى واحد، فإن الكتاب الطليعيين يتيحون المجال للغة اللاوعي كي تبرز إلى السطح، ويحررون الدوال كي تولد معنى حين تشاء، وتدمر رقابة المدلول وإلحاحه القمعي على معنى واحد »[20].

وعلى هذا الأساس، يتضح أن القول بعموم السيميائيات وخصوص اللسانيات كان الهدف منه هو حصر اللسان لصالح طبقة ما تروج للمركزية الأوروبية، والقول بعموم اللسانيات وخصوص السيميائيات كان الغرض منه هو تكسير امبريالية السيميائيات.

ونعود إلى سؤالنا الأول: ألم يكن للدرس النقدي العربي القديم إسهام في التقعيد للعلامة تحت غطاء مفاهيم مستمدة من السياق المعرفي العربي القديم؟

جوابنا على السؤال مرتبط بالحديث عن جهود الناقدين العربيين، عبد القاهر الجرجاني وأبي عثمان الجاحظ.

يقول الجاحظ: « قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني: المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم، والمتخلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم مستورة خفية وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره، وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخضاعهم عنها واستعمالهم إياها. وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم، وتجليها للعقل، وتجعل الخفي منها ظاهرا والغائب شاهدا والبعيد قريبا. وهي التي تلخص الملتبس وتحل المنعقد وتجعل المهمل مقيدا، والمقيد مطلقا، والمجهول معروفا، والوحشي مألوفا، والغفل موسوما، والموسوم معلوما. وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل يكون إظهار

20– بسام قطوس، استراتيجيات القراءة، مؤسسة حماده ودار الكندي، 1998، ص. 18.

المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع. والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان ... ثم اعلم -حفظك الله- أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة، محصنة محدودة. وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة »[21].

قسم الجاحظ أصناف الدلالات على المعاني إلى قسمين هما:

1. لفظي، وهو الجهاز الصوتي السمعي، وهو عنصر أساسي من الأصناف الدالة على المعاني، وهو القسم الكبير.
2. غير لفظي، وينقسم إلى أربعة أصناف تأتي كالآتي:

أ. **الإشارة**: وتكون بالعين أو اليد أو الرأس، لذلك صنفها الجاحظ صنفا غير لفظي وتؤدي معنى من المعاني.

قال شاعر:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

ويرى الجاحظ أن مبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت، فهي تؤدي المعنى أكثر مما تؤديه الألفاظ، وأن حسن الإشارة من تمام حسن البيان باللسان.

ب. **العقد**: ويقصد به الحساب من غير لفظ أو خط، يقول الجاحظ: « والحساب يشتمل على معان كثيرة ومنافع جليلة، ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل معنى الحساب في الآخرة، وفي عدم اللفظ وفساد الخط والجهل بالعقد فساد جل النعم وفقدان جمهور المنافع، واختلال كل ما جعله الله عز وجل لنا قواما ومصلحة ونظاما ».

ج. **الخط**: وهو الكتابة، وتكون بالقلم بوصفه أحد اللسانين، قال تعالى: ﴿ ﴾ [العلق: 3-4].

21- الجاحظ، البيان والتبيين، الجزء الأول، ص. 75- 76

د. **النصبة**: وهي الحال الناطقة بغير اللسان، وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض، في كل صامت وناطق وجامد ونام ومقيم، وزائد وناقص ... ولهذا قال الأول: سل الأرض فقل: من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجني ثمارك؟ فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا.

وإذا كان أبو عثمان الجاحظ راح يبحث في أصناف الدلالات من لفظ وغير لفظ، فإن الجرجاني راح يبحث في الكلام من خلال مستوياته، فصنفه في الكلام العادي، والكلام الأدبي، والكلام المعجز، موضحا أن لكل كلام خصائص ومعان يتميز بها عن أي كلام آخر، وإن كان هذا الكلام يستقي مادته من اللغة التي تتكون من الألفاظ، واللفظ وعاء للمعنى، وهكذا نظر الجرجاني إلى معاني الألفاظ كنظام لغوي قار في وعي الجماعة إذ تقوم اللغة على أساسه لتؤدي وظيفتها الاتصالية والتواصلية، بينما الكلام فهو ذلك الإنجاز الفعلي لقوانين اللغة في إطار دائرة كلامية، ومن ثم لا يجوز أن يكون الكلام من جزء واحد، فاللفظ المفرد لا فائدة منه إلا في علاقته بألفاظ أخرى قصد التركيب وبالتالي أداء الفائدة التي يحسن السكوت عليها في عرف النحاة.

يقول الجرجاني: «ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها، مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة، وينسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى، غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين وآنق وأعجب وأحق بأن تستولي على هوى النفس، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب، أولى بأن تطلق لسان الحامد، وتطيل رغم الحاسد ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، وتختار له اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه وأتم له، وأحرى بأن يكسبه نبلا، ويظهر فيه مزية»(22).

ويتولد على ضوء السؤال السابق سؤال جديد، وفق ما عرضه لنا الجاحظ والجرجاني في الآتي: هل يمكن إدراج ما تناوله الجاحظ والرجاني بالطرح في إطار موضوعنا اللسانيات والسيميائيات؟

لا شك أن الحقل الثقافي الذي انطلق منه الجاحظ والجرجاني هو حقل يختلف

22- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، الطبعة الثالثة، 1992، ص 43.

عن الحقل الثقافي الغربي الذي ولدت فيه اللسانيات والسيميائيات.

فالأول حقل ينهض على ما هو ديني وفلسفي، اتخذ من التواصل وظيفة إقناعية الغاية منها التبليغ والفهم والإفهام، ونحن نعلم أن هذين العالمين استمدا ثقافتهما التي اتسمت بالموسوعية من مصدرين اثنين هما: القرآن والفلسفة اليونانية، بالإضافة إلى التجربة الشخصية التي ينفرد بها كل واحد منهما من حيث الحمولة النقدية واللغوية والدينية وما فيها من خلافات بينهما.

وعلى الرغم من كل هذا، فإن هدفهما كان هو بناء مجتمع مثالي انطلاقا من:

- الحرص على التضامن الشامل بين أعضاء المجتمع لتأمين الاستقرار.
- الحفاظ على الدين الإسلامي كنظام ينمي الأخلاق والفضائل بين الناس.
- معرفة إعجاز كتاب الله، ومعرفة معجزة رسوله الذي أوتي جوامع الكلم.
- بناء خطاب لغوي بلاغي يخدم الدرس النقدي العربي انطلاقا من الاطلاع على والأبلغ[23].

وعلى الرغم من وحدة الهدف، فإن الجاحظ راح يبحث فيما هو لفظي وغير لفظي، بينما عمق الجرجاني بحثه فيما هو لغوي من خلال تصنيفه للكلام إلى مستويات (المعجز- الأدبي- العامي)، علما أن اللغة هي الوعاء الذي يحوي هذه المستويات على اختلاف ألفاظها.

ومن تم، فإن الطرح الذي تقدم به الجاحظ والجرجاني هو طرح ينطلق من المعرفة الشمولية للأشياء التي رأيا فيها حياة تقوم على التبليغ والإقناع أولا، وبناء بيت عربي قوامه العلم الذي يحفظ الدين واللغة.

أما الحقل الثاني، فيتداخل فيه الفلسفي بالمعرفي والعلمي، وهو حقل شهد تحولات ابستمولوجية، أنتجت فيما بعد نظريات لغوية استمدت وجودها من نظريات بسيكولوجية وسوسيولوجية وأنثربولوجية.

في النهاية، إذا كانت السيميولوجيا تنقسم إلى سيميولوجيا التواصل التي تهدف إلى الإبلاغ من خلال ربط الدليل بالمدلول والوظيفة القصدية، وسيميولوجيا الدلالة تربط الدليل بالمدلول، فإن إسهامات العرب القدامى تناولت بشكل أو بآخر مثل هذه المفاهيم

23- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص 36.

تحت قواعد نحوية وأخرى بلاغية تقوم على التواصل والإفهام والإقناع بوجود قرائن لفظية ومعنوية.

أسرار البلاغة والفصاحة في غير القرآن، من كلام العرب شعره ونثره، وذلك لأن من لا علم له بأوجه البلاغة يعجز عن التمييز بين الفصيح والأفصح والبليغ.